محاضرات النص السردي المغاربي

السنة ثالثة دراسات أدبية

أستاذة : دلال حيور

المحاضرة الأولى : نشأة الأشكال السردية المغاربية (المسرحية والقصة)

عناصر المحاضرة:

- **النصوص المسرحية المغاربية الأولى**
- **نشأة الأشكال والنصوص القصصية المغاربية(الجزائرية) الأولى**

تأثرت النصوص السردية المغاربية بمجموعة من الإشكالات الكبرى سواء ما تعلق منها بالهوية خاصة وأن النقاد وقفوا مطولا حول هوية الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية ونظيره المكتوب باللغة العربية وهذا ما خلق جدلا واضحا على مستوى الدراسة تعلق بعناصر ثلاث هي الهوية المضمون ولغة هذه النصوص نفسها، وهو ما اقتضى حديث مطولا "أسئلة الهوية والمقومات الشخصية"، والتي تأثرت من حيث التعرف على مختلف أنواع وأشكال الكتابة السردية برافدين مهمين هما:

- **الرافد الأوروبي.**
- **الرافد المشرقي.**

أولا: النصوص السردية المغاربية الأولى

- ظهرت نماذج من المسرح التقليدي، اتسمت بالبدائية والسذاجة من بينها الرقص والتواصل الشفوي.
- كما ارتبط بشكل مباشر بالحكايات التي ضمت الحديث عن الأسطورة والخرافة وسرد البطولات، والتي اتصلت بشكل مباشر بمناسبات اجتماعية كالختان والزواج، ودينية كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف واقتصادية، فكان مسرحا طقوسيا بامتياز.
- تأثر المسرح المغاربي ببعض الأشكال التي ظهرت في المسرح الغربي من مثل مسرح خيال الظل، والقراقوز الذي يعتمد على الدمى المتحرك، وصندوق الدنيا.
- وجود علائق واضحة بين المسرح المغاربي والمسرح الأمازيغي والفينيقي، والروماني وغيرها والدليل على هذا الارتباط تشييد المسارح في العديد من دول المغرب العربي من مثل مسرح قرطاج في تونس، ومسرح تمقاد والمسرح الروماني، والمسرح العتيق في الجزائر.

ثانيا:نشأة الأشكال القصصية المغاربية

عرفت الأشكال القصصية المغاربية-وسنخص الحديث عن القصة الجزائرية بالأشكال التي أشار إليها شريبط أحمدشريبط-صورا مختلفة من بينها مايلي:

1- **المقال القصصي:**

عرفت الحياة الأدبية والثقافية والفكرية الجزائرية بانتعاش وبتطور ملموس خلال العقد الثالث من هذا القرن، ومع مرور الايام تطور شكل المقال الإصلاحي في بعض الكتابات إلى مقال قصصي وبدا أنه يغاير شكله الأول، ولا غرو في ذلك لأن كتابه أعضاء في جمعية العلماء، ومن المتحمسين لأفكارها وكانوا يبحثون عن الطرق الناجعة لإيقاظ الهمم، وإصلاح النفوس، وقد وجد بعضهم في المقال القصصي ضالته، وقد عرف في بدايات ظهوره بأنه كان مزيجا من عدة أنواع أدبية كالمقامة والرواية والمقالة الأدبية، تأثر بشكل مباشر بالمقال الديني الذي عرف ازدهارا على يد رجال الحركة الاصلاحية.

2- الصورة القصصية:

تناولت الصورة القصصية في بداياتها الموضوعات الاصلاحية التي عالجها المقال القصصي، واتسمت بقصر الحجم الذي يعد أهم ميزة يشترك فيها مع القصة القصيرة. يعد هذا الشكل الأدبي، أقرب الأشكال إلى القصة القصيرة الفنية فهو الخطوة الفنية التي سبقت ظهورها، وهذا ما يفسر معاناة التحول في بعض النماذج الأدبية الأخرى لدى محمد بن العابد الجلالي، وأحمد بن عاشور، وأحمد رضا حوحو وعبد المجيد ،الشافعي، إذ يمكن عد هذا التحول بمنزلة الظروف الصعبة التي ترافق حصوله على حجم مستقل تحدده سمات وعناصر خاصة. وقد استمر هذا التهيؤ، الفني إلى مشارف الخمسينات، حيث اتضحت معالم القصة الفنية، وذلك بتأثير من تطور الحركة الأدبية الجزائرية، وتراكم الخبرات الأدبية لدى الأدباء أنفسهم، واطلاعهم على نماذج القصة الفنية.ويمكن أن نحصر ملامح الصورة القصصية في النقاط التالية:

- تهتم الصورة القصصية بعنصر القص، وبالحدث، كما هو، وليس بتطوره.
- الشخصية في الصورة القصصية نموذجية لعينة من شرائح المجتمع ولهذا فهي ثابتة غير ،نامية، كما أنها لا تتفاعل مع الحدث القصصي .
- الحوار لا تديره الشخصية الأدبية، وإنما تطغى عليه شخصية الكاتب ويحس القارئ بالتدخل المباشر للكاتب الذي يكشف عن مرداه وثقافته.
- نقص التركيز، وكثرة الحشو، والاستطراد والتفاصيل .
- وأما من حيث المضمون فقد حاولت الصورة القصصية أن تستوعب مضمونات جديدة. فإلى جانب تركيزها على المشاكل الاجتماعية ومعاناة الإنسان اليومية في ظل سلطة المحتل اهتمت أيضاً بإبراز أعمال المستعمر وآثاره السيئة في المجتمع، وأدانت بعض التقاليد السلبية التي تعرقل التطور الإنساني وأسهمت إلى جانب المقالة في تقديم المبادئ الإصلاحية والأخلاق الدينية.

3- القصة الفنية:

ظهر هذا الشكل مع جيل الثورة الأدبي أين كان للثورة مساهمة واضحة في تطور القصة القصيرة الجزائرية نفسها مع أهم أعلامها، من مثل عبد الحميد بن هدوقة، محمد

الصالح الصديق، الحبيب بناسي، عبد الله خليفة الركيبي، عثمان سعدي، أبو العيد دودو، الطاهر وطار، زهور ونيسي.

وقد ظهرت ضمن شكلين بارزين؛ القصة التقليدية، والقصة الحديثة، وقد جاء وجه التباين بينهما على مستوى صيغ سرد الأحداث، أو على مستوى الأسلوب الذي جمع في أحيان كثيرة بين الرسالة، واليوميات والمذكرات وأسلوب المقاطع. كما تم التركيز فيها على شخصيات متنوعة وقف فيها القاص بالتحليل والدراسة على نفسياتها، وهمومها، من مثل شخصية المرأة، شخصية الخائن، شخصة الأجنبي، وشخصية الأجنبي غير الفرنسي، وهذا ما سمح بشكل واضح في تعدد إبداع الشخصيات بين السياسية، والاجتماعية والمصدر الخيالي.

4- القصة الجديدة:

ساهم تطور الحياة الثقافية والأدبية التي عرفتها الجزائر، فظهر ضمنها فريقان؛ الأول التزم بالقواعد الفنية من مثل كتابات مصطفى فاسي، مرزاق بقطاش، أحمد منور، جميلة زنير، جيلالي خلاص. أما الفريق الثاني فقد ثار على تقاليد الكتابة السابقة، وحاول أن يكتب بشكل مختلف.كما كان كتابها يوثقون بعض تصوراتهم وآرائهم حول هذا الشكل في الصحف والمجلات من مثل:

- جروة علاوة الذي تميزت قصصه بالغموض والتركيز على الأماكن المفتوحة كالمقاهي.
- محمد الصالح حرز الله الذي امتازت قصصه بالقصر البالغ، والذي يبلغ في بعض الأحيان مجرد بضعة أسطر، كما حاول الاستفادة في كتاباته من فنون أخرى كفن المسرح، وفن السينما، وفن الشعر، كما كان يركز على أسلوب المونولوج، وكثيرا ما يلجأ إلى تضمين قصصه مقطوعات لشعراء معروفين كشعر عبد الوهاب البياتي، وأحمد فؤاد نجم، ونزار قباني.

هذه بعض المحطات المهمة التي سجلناها فيما يتعلق بظهور الأشكال والنصوص السردية القصصية خاصة في الجزائر.

المحاضرة الثالثة: نشأة الرواية الجزائرية العربية

عناصر المحاضرة:

- **النصوص التأسيسية للرواية الجزائرية العربية.**
- **اتجاهات الرواية الجزائرية العربية.**

أولا: <u>النصوص التأسيسية للرواية الجزائرية العربية:</u>

تتحدد خصوصية الرواية الجزائرية في أصول نشأتها بما يمكن أن يكون فارقا بينها وبين الرواية العربية، من حيث يشير الكثير من النقاد إلى الصلة الوثيقة بين ظهور هذا النوع في المشرق العربي والعلاقة الناجمة عن نتائج تفتح الجزائر على النهضة العربية الحديثة بحسب الرأي الذي يتبناه(عبد الله الركيبي)، في حين يقرّ البعض الآخر- من المنظرين-على حقيقة أخرى وهي ظهور أول رواية إنسانية في الجزائر؟، ومن هذا التصور يصل الباحث إلى أنّ

الرواية الجزائرية عرفت ما أطلق عليه الناقد(واسيني الأعرج) بـ" محنة التأسيس" التي وقفت تحديدا عند وجود عملين بارزين اعتبرهما النقاد نصين تأسيسيين للرواية الجزائرية وهما: رواية(الحمار الذهبي) لصاحبها(لوكيوس أبوليوس) و"هو أحد أبناء شمال إفريقيا..الذين برزوا في ميدان الأدب اللاتيني"، والذي كان له باع طويل في تأليف الرواية،

كما كان له تأثير على كتّاب أتوا من بعده خاصة(القديس أغوستينوس) من خلال وضع كتابه(عن مدينة الله)" ، ويعتبر هذا العمل-رواية" الحمار الذهبي"- بحسب تصوّر(أبو العيد دودو)" أول رواية قديمة وصلت إلينا كاملة، وشكلت نوعا أدبيا جديدا، هو النوع الذي يعرف اليوم بالرواية الإطارية، التي تضم مجموعة من القصص من جهة، وبالرواية الأنوية أو الرواية التي يرويها المؤلف نفسه بضمير المتكلم من جهة أخرى"، كما اعتبر هذا النص الأسبق في الظهور من أول نص للرواية العربية بالعمل الذي كتبه(محمد حسين هيكل) المعنون بـ" زينب" التي صدرت سنة 1914م.

أمّا العمل الثاني الذي جعل له السبق في التأسيس للرواية الجزائرية قبل الاستقلال هو" حكاية العشاق في الحب والاشتياق"لـ(محمد بن ابراهيم)الذي كتب ما بين1845-1849 – كما يبقى الجدال واضحا بين اعتبار هذا النص رواية أم قصة وأغلبية الآراء ترجح البعد الأجناسي الثاني-. ومن هذا النموذج يتأكد أنّ هذه الآراء وغيرها تحاول التأسيس للرواية الجزائرية إلى فترة ماقبل الاستقلال بوجود اختلاف واضح أيضا في مسألة النص التأسيسي، إذ يتبنى النقاد فكرة أن أول نص روائي مكتوب باللغة العربية يمثله"الطالب المنكوب" لـ(عبد المجيد الشافعي الذي نشر حوالي عام 1951 في تونس، ليليه مباشرة نص"الحريق" لـ (نور الدين بوجدرة) الذي نشر سنة 1957م.

أما عن الروايات التي نشرت بعد الاستقلال فوقفت (عايدة أديب بامية) عند إثبات تاريخ لها وهو 1967 بصدور رواية"صوت الغرام" لـ(محمد منيع)، كما حاولت أن تدلل هذا القصور في ظهور هذه الأعمال في هذه الفترة بالذات إلى نفس الأسباب التي عرفتها صعوبة نشر الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية فـ"العوامل الثقافية والفنية تعتبر المسئول الأول عن ندرة الرواية المكتوبة باللغة العربية، وأن ظهور رواية واحدة فقط باللغة العربية فيما بعد الاستقلال وحتى عام 1967 لا يترك المجال للأعذار بل يضع المسئولية على الأدباء الجزائريين"، إنّ الوضع الثقافي السائد إذا كان أحد أسباب قلةّ ظهور الروايات ولكن مع هذا فالباحثة تلقي المسؤولية أيضا على الأدباء الذي لم يثوروا على هذا الوضع ولم يسعوا جاهدين إلى إيصالها إلى أيدي القارئ سواء داخل الوطن أو خارجه.

رغم أنّنا حاولنا أن نقف في إطلالة سريعة على نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، إلاّ أنّها وللأسف لم تكن هي النص التأسيسي لنوع الرواية لأنه على حسب ما توصلنا إليه كان الإقرار بأول نص من هذا النوع يعود إلى الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية التي لم يكن من السهل إقدام أصحابها على إيجاد أرضية خصبة أو سهلة سواء لنشرها حيث" كان الناشرون في فرنسا فقط ولم يكن بينهم القليل من القديسين والأبطال حتى يجازفوا بنشر انتاج كاتب عربي"، فقد كان أصحاب الأعمال الروائية ينتظرون سنوات متلاحقة حتى يتمكنوا من نشرها فقد استغرقت رواية الدار الكبيرة لمحمد ديب ست سنوات

كاملة حتى استطاع نشرها سنة 1952م، كما عانت الرواية الجزائرية من مشكل المقروئية في ظل بروز هؤلاء الكتاب الذين لم يكونوا معروفين في ذلك الوقت وقد أعرب محمد معمري عن هذا المثبط الذي واجههم في بداية إنتاجهم فهو يتساءل"..من سيقرأ كتب الأدباء العرب التي يتحدثون فيها عن أنفسهم؟..."، ورغم كل هذه الظروف التي حاولت أن تعيق بشكل مباشر أو غير مباشر وصول هذه الأقلام الجزائرية لتسمع صوتها بأدبها للعالم ككل ومع ذلك فقد برز الكثير من الكتّاب الذين خلّدت أسماؤهم بحروف من ذهب في سجلّ الرواية الجزائرية أيا كانت اللغة التي كتبت بها .

لقد كان لاندلاع الحرب العالمية الثانية دورا مهما في ميلاد الرواية الجزائرية بحسب ما ورد في كتاب" تطور الأدب القصصي الجزائري" التي تستند فيه الباحثة إلى رأي(ميشال بارفونوف)، إذ تم التأكيد على أن الجزائريين في ظل مشاركتهم في هذه الحرب لم يعاملوا ولم تكن لهم نفس الحقوق مع الجنود الفرنسيين مع أنهم كانوا متساوون في الواجبات وهذا ما دفع بهم إلى رفض هذا الواقع وعدم الرضوخ لهذا المنطق فلجأوا إلى المقاومة المسلحة والكتابة، وتؤكد(عايدة أديب بامية) أن" الرواية المكتوبة بالفرنسية نادرة قبل الحرب العالمية الثانية، بينما الرواية العربية كانت معدومة الوجود..."، تعود أول ملامح كتابة الرواية في الأدب المكتوب باللغة الفرنسية إلى 1947 بالرواية الأولى التي نشرتها(مارجيت طاووس عمروش)المعنونة بـ"الزئبقة السوداء"(Jacinthe Noire) والتي تتحدد فيها خصوصية الكتابة في هذا النوع الأدبي الذي يقوم على الأخذ من الحياة الشخصية "تحكي فيه الكاتبة تجربتها في مسكن الطالبات بباريس وتشير إلى بعض أوجه الحياة القبائلية" غير أن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية والتي راعت المعايير الفنية في كتابتها وتمثلها رواية"نجل الفقير" لـ(مولود فرعون) هذه الرواية التي عالج فيها الروائي"الفقر في منطقة القبائل أثناء فترة الاحتلال، وذلك من خلال أسرة قبائلية عرفها هذا الروائي جيدا، باعتبارها أسرته هو، وتعتبر رواية ابن الفقير...إلى حد بعيد سيرة ذاتية تصف طفولة الكاتب ومراهقته، كما تغطي الرواية السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الأولى، لتصل حتى نهاية العشرينات"، ومن ثم نستخلص بأن حتى الروايات الجزائرية الأولى المكتوبة باللغة الفرنسية كانت تعتمد على توظيف السيرة الذاتية . وتبقى إشكالية ظهور الرواية الجزائرية والأعمال المؤسسة لها محلّ خلاف وجدل كبير لم يتفق عليها النقاد والباحثون في هذا المجال.

ثانيا: اتجاهات الرواية الجزائرية العربية

يؤكد الروائي والناقد والأستاذ الأكاديمي (واسيني الأعرج) بأن فترة السبعينات هي مرحلة تبلور اتجاهات الرواية الجزائرية، من خلال ظهور كل من:

1- الاتجاه الإصلاحي:

ظهر الاتجاه الإصلاحي من خلال ظهور الفكر الإصلاحي نفسه بشكل بارز ومكثف خاصة بعد فترة الأربعينات من هذا القرن، كان ينحو هذا الاتجاه نحو تحقيق الإستقلال الوطني، كما لازم ظهور الفكر الاصلاحي الظروف التاريخية الحرجة التي عرفتها البلاد، والتي اختارت الوحدة الوطنية حلا من الحلول التاريخية المطروحة كالثورات الوطنية .

أسهم الاتجاه الإصلاحي في تأسيس الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية بخطوات متثاقلة ضعيفة الموضوع، ولكن سرعان ما قادها نحو الرواية الفنية الناضجة، وأول محاولة روائية من هذا النوع كانت تعود إلى أحمد رضا حوحو في عمله الموسوم بـ"غادة أم القرى"، والتي حاول فيها رصد معاناة المرأة الحجازية في ظل التقاليد التي أخذت كل حقوقها، وهو واقع لا يختلف مع واقع المرأة الجزائرية آنذاك. نذكر محاولة ثانية مثلت هذا الاتجاه هي رواية" الطالب المنكوب" لعبد الحميد الشافعي الذي صوّر فيها حالة طالب جزائري سافر إلى تونس لمواصلة دراسته، وأثناء إقامته هناك يتعرّف على فتاة يقع في حبها، وفي الأخير تنتهي هذه الأحداث بإكمال دراسته والزواج منها، ومن ثمة فإن موضوعها قديم استنفذته الرواية العربية من قبل إلى درجة أنه أصبح وسيلة من الوسائل التي يلجأ إليها الكاتب للهروب من الواقع المعقد جدا.

2- **<u>الاتجاه الرومانتيكي:</u>**

لقد ظهر هذا الاتجاه لأهداف واضحة أهمها التمرد على الواقع المعيش، ومحاولة تغيير أوضاع المجتمع نحو الأحسن، ويرجع سبب ذلك إلى ماكانت تمارسه فرنسا من أعمال إجرامية في الجزائر تحت شعارات إصلاحية، وهو ما أدى إلى قيام حملة من الانتفاضات من طرف الجزائريين بغية تحسين أوضاع وظروف الفئات الأكثر حرمانا.

وقد ساهم هذا النوع من النضال الطبقي في بلورة الوعي الشعبي، والذي كشف عن الوجه الحقيقي الذي كانت تخفيه البورجوازية الفرنسية المشحونة بأفكار ايديولوجية، وهي التي كانت تقف ضد الديمقراطية والمساواة وتطور الشعوب، خاصة وأنها تقوم أساسا على الجشع والطمع والروح الإجرامية، لذلك كان من بين المظاهر التي تميزت بها الرواية الجزائرية الحديثة التي ارتبطت بالتاريخ الثوري ارتباطا وثيقا اهتمامها بالقضايا السياسية ، وبقضايا النضال والكفاح ضد المستعمر، إضافة إلى الاهتمام بالقضايا الاجتماعية والإنسانية في قوالب فنية.

ورغم تمرد الرومانتيكية على الواقع المعيش بالالتجاء للدّين لحلّ المشاكل الإقتصادية التي كان يتخبط فيها المجتمع، وهذا ما انعكس حتى على أحداث وشخصيات الأعمال الروائية نفسها، أين كانت فيها الرؤية الرومانتيكية لأبطال الرواية رؤية سوبرمانية كما يراها واسيني الأعرج، كما انعكس هذا الاتجاه في رواية"ما لا تذروه الرياح" للروائي محمد عرعار، الذي حاول أن يجعل أبطاله ثوريين نضاليين، إلاّ أنّه لم يتمكن من ذلك لقصوره عن فهم الواقع،

وحصر مشاكله(لذلك لم يتمكن الروائي من خلق ثوري قادر على التغيير)، فلا يمكن في اعتقادنا للكاتب أن يخلق نموذجا ثوريا إذا لم يتمكن هو نفسه من امتلاك الوعي الثوري.

ورغم كل ما قيل عن هذا الاتجاه فإنه مكن الأدب الجزائري من تناول قضايا ومواضيع وطنية ساهمت في نضج الرواية الجزائرية والسير بها في خطى التطور الأدبي نحو آفاق إبداعية جديدة.

3- <u>الاتجاه الواقعي النقدي:</u>

ظهرت على الساحة الأدبية الجزائرية كتابات روائية ذات طابع واقعي ايديولوجي، حاولت أن تنتقد السياسة الاستعمارية، بل حاولت إدانتها، لذا مثل هذا الاتجاه فكرة انتحال الأدباء صفة النقاد الذين كانوا يقفون موقف الملاحظ لهذا المجتمع بمختلف مشكلاته الرئيسية، في محاولة منهم لانتقادها، عبر الكشف عن عيوبه وبسطها والسخرية من كلّ ما يسيء إلى المصلحة العامة، فالأدب بالنسبة لأصحابه هو نقد للحياة الإنسانية، إلا أنهم جهلوا كيفية حلهم للمشاكل الاجتماعية، وتجاوز مصاعب الحياة.

اتجهت الرواية الجزائرية إلى هذا النوع من الاتجاهات في فترة السبعينات، خاصة وأن الضرورة الحتمية هي التي أنتجته لمعالجة القضايا التي يعاني منها المجتمع.حيث كانت في كل وضع من الأوضاع تظهر فئة من الأدباء الذين عبروا وأفصحوا في نصوصهم عن قساوة الحياة ومشاقها والظروف الصعبة التي مرّ بها المجتمع الجزائري طيلة مسيرته التاريخية، وخير من تمثله رواية "الحريق" لنور الدين بوجدرة.

4- <u>الاتجاه الاشتراكي النقدي:</u>

أدت الاضطرابات الثورية التي أصابت العالم"إلى ولادة الواقعية الاشتراكية، والتي استجاب ظهورها إلى مقتضيات التاريخ العميق العضوية، ولم تقتصر الثورة التي أحدثتها الواقعية الاشتراكية في الفن مجرد ثورة جمالية، بل أنها أثرت في صميم المجالات الأساسية الحاسمة للفن"، فاعكست نضال الطبقة الكادحة من أجل تحقيق المثل الأعلى في الواقع الاجتماعي الذي تبناه الوعي الاشتراكي، خاصة في نضاله المستميت ضد المفاهيم البرجوازية، كما كان للظروف الاقتصادية والثقافية والتاريخية دورا مهما في ظهوره.

ظهر هذا الاتجاه كردة فعل واضحة على اتجاه الواقعية النقدية، والتي كانت في اعتقادهم تتظاهر فقط بتحليل المجتمع، في حين أنها عاجزة عن حلّ المشاكل، والعراقيل والمصاعب التي يعاني منها المجتمع. لذلك فإن أصحابه يطالبون الأديب الواقعي الاشتراكي أن يكون على معرفة بتاريخ الواقع الذي سيمكنه من الحصول على نماذج ثورية واعية بتاريخها، والذي تسعى فيه إلى تحقيق تفاءل نحو غذ أفضل، خاصة وأنهم- كتابه- يسعون

إلى تحليل الواقع بالتمعن أكثر في أغواره العميقة، عن طريق إعادة صياغته في طابع جمالي فني راقي. ونتيجة هذا الوعي الذي أظهره العديد من الروائيين الجزائريين فقد تمكنوا من جعل الكلمة سلاحا للهجوم على الواقع بغية إصلاحه وتطويره ضمن رؤية مستقبلية فنية تتجاوز العوامل الخيالية، وترتبط أكثر بدنيا الواقع الحقيقية، وتتجسد الواقعية الاشتراكية بشكل واضح في روايات الطاهر وطار، وتحديدا في رواية "اللاز"، و روايته"العشق والموت في الزمن الحراشي".

المحاضرة الرابعة: نشأة الرواية المغربية

عناصر المحاضرة:

أولا : عوامل نشأة الرواية المغربية

ثانيا: مراحل ظهور الرواية المغربية

1- **مرحلة التأسيس.**
2- **مرحلة الواقعية.**

أولا: <u>عوامل نشأة الرواية المغربية</u>

إذا ما عرفنا حقيقة ظهور شكلي القصة القصيرة والرواية في المشرق العربي واللتان كانتا في أوج

يختلف عن وضع ظهور هذين النوعين في المغرب العربي؛ حيث سبقت نشأة القصة القصيرة بعقود نظيرتها الرواية، حيث وقف النقاد عند مجموعة من الأسباب التي أثرت على هذا التأخر أهمها:

- نشأت الرواية المغربية متأخرة عن القصة القصيرة والسيرة الذاتية وهذا ما جعلها تقع تحت سلطة هذه الأشكال السردية التي تأثرت بدورها في الظهور بالرواية والقصة والسيرة الذاتية في المشرق.
- وقعت الرواية المغربية أيضا تحت سلطة السرد التقليدي الطويل الذي مثله بشكل خاص أدب الرحلة.

فقد سبب هذا الوضع المتأزم في الظهور أن ارتبطت نشأة الرواية المغربية بظهور الأعمال السردية الطويل

جاءت بحسب النقاد والمنظرين في شكل سيرذاتية، وهذا أمر غير مستبعد خاصة وأن جيمس كليف يؤكد على أن الأعمال الروائية الأولى هي سيرذاتية، ويمكن أن نحيل هنا إلى النماذج التي تؤكد طبيعة هذه الأعمال من خلال ما كتبه كل من:

- عبد المجيد بن جلون في روايته الموسومة بـ" في الطفولة" سنة **<u>1957.</u>**
- عبد الكريم غلاب في روايته المعنونة بـ "سبعة أبواب" سنة **<u>1965.</u>**

- محمد عزيز لحبابي في روايته "جيل الظمأ" سنة **1967**.

من جهة أخرى يرجع بعض النقاد أسباب تأخر ظهور الرواية المغربية إلى تأخر ظهور الطبقة البورجوا

اعتبار أن الرواية تعبّر عن انشغالاتها، فهي على حد تعبير جورج لوكاتش "ملحمة بورجوازية"، على عكس القصة التي تعبر عن انشغالات الفئات المهمشة. كما ساهم تطور القصة القصيرة المغربية-قبل فترة الخمسينات-، وظهور أشكال جديدة من مثل القصة الطويلة(القصة التاريخية تحديدا)، فقد مثل ظهور هذا النوع بنصين شبه روائيين خلال فترتي الثلاثينات والأربعينات هما:

- الرحلة المراكشية لابن المؤقت.
- الزاوية للتهامي الوزاني.

كما ساهم ظهور شكل الرحلة -هذه الأخيرة التي تطورت منذ الثلاثينات- للانتقال إلى الكتابة الروائية.كما ساهمت بعض التحولات الاجتماعية التي عرفها المغرب والمتمثلة في توسع قاعدة المثقفين، والتي كان لها دور مهم في تطور بنية النشر في ظهور نوع الرواية المغربية أيضا.

ثانيا :مراحل ظهور الرواية المغربية:

يفضل الكثير من النقاد الحديث عن "اتجاهات الرواية المغربية"بدلا من الحديث عن مراحلها؛ بسبب ما تعرفه نماذج هذه المرحلة من تداخل واضح مع أشكال أدبية أخرى. مرت الرواية المغربية منذ ظهورها بثلاث مراحل فاصلة في مسيرتها ، تمثلت في الآتي :

1- **مرحلة التأسيس**:

كانت الرواية المغربية في بداية نشأتها تحمل أبعادا تاريخية وسيرية، ويمكن أن نستشف ذلك من خلال الأعمال التأسيسية التي اتصلت بهما؛ بدايتها مع رواية (وزير غرناطة) **لعبد الهادي بوطالب** الذي تناول فيها حياة الشاعر الأندلسي (لسان الدين بن الخطيب)، الذي يظهر فيها العنصر التاريخي بشكل واضح، فقد تحدثت الرواية عن مراحل مهمة من حياة الوزير الغرناطي حين لمع نجمه في مجالي الأدب والسياسة لتنتهي حياته بقتله وإحراق جثته وكتبه بفاس سنة 776م، وعلى الرغم من أنّ الرواية تجمع بين الكتابة التاريخية إلاّ أن الكاتب استطاع وببراعة أن يضفي عليها بعدا تخييليا يبعدها عن مجال اشتغال السيرة الغيرية تحديدا، ليقربها أكثر لمجال الرواية.

أما العملين الآخرين اللذين مثلا هذه المرحلة والذي اقترن ظهورهما بفترة الخمسينات (1957)هما؛ في الطفولة لعبد المجيد بن جلون، وبدية الستينات(1965) هو سبعة أبواب لعبد الكريم غلاب. حيث كان الطابع المميز لهما هو الكتابة السيرية؛ فالأولى اعتبرها الكثيرون **سيرة ذاتية خالصة** تحمل كل خصائص السيرة الذاتية نفسها، يعود فيها الكاتب إلى طفولته بالمغرب وانجلترا، ثم ليحكي تفاصيل ما احتفظت به ذاكرته عنهما. أما العمل الآخر(لعبد الكريم غلاب) فقد تراوح بين الكتابتين الروائية والسيرية، وهناك من النقاد من

جعلها ضمن ما يطلق عليه(السيرة الروائية)، لمزاوجتها بين الطابعين الواقعي والخيالي، مع سيطرة الأول(الواقع) على معظم أحداثها.

تميزت الرواية المغربية-التأسيسية- بالحفاظ على خصائص الكتابة الروائية التقليدية من اهتمام بالحكاية، والتتابع الخطي للأحداث، اعتمادها على السارد العليم الذي يمسك بكلّ خيوط السرد، ويتحكم في أفعال الشخصيات ويطّلع على خباياها، كما قد وظفت –أحيانا- السارد المشارك الذي يقدم رواية مصاحبة للمسرود بوصفه شخصية سردية. هذه الخصائص جعلت الرواية المغربية في نظر النقاد موسومة بعدم النضج، إذ كان يغلب عليها الطابع الإحالي والميل إلى ماهو واقعي وكل ماله بصلة مباشرة بحياة الكاتب/ السارد، فمزجت نماذجها بين الكتابة الروائية والكتابة السيرية؛ سواء تعلق الأمر بتظيف السرة الذاتية كما هو الحال مع رواية عبد المجيد بن جلون"في الطفولة"، أو السيرة الغيرية كما هو مع نموذج عبد الهادي بوطالب"وزير غرناطة".

2- مرحلة الواقعية:

تمتد هذه المرحلة من منتصف الستينات إلى منتصف السبعينات، وقد تميزت بشكل عام بالتالي:

- كان يؤطرها على المستوى الاجتماعي طرح العديد من القضايا الاجتماعية التي تمخضت عما تركه الاستقلال من أعطاب عميقة كان من أبرز تجلياتها:
  - ظهور فوارق فادحة بين فئة فقيرة محرومة تشكل القاعدة الواسعة في المجتمع.
  - فئة كانت لها الحظ في اعتلاء قمة الهرم الاجتماعي، بما تحصلت عليه من امتيازات.
- كان يؤطرها على المستوى القومي هزيمة1967 التي عمقت جراح المواطن العربي بعد احتلال الصهاينة أجزاء أخرى من فلسطين، وبعض البلدان العربية.
- أما على المستوى الثقافي فكان يؤطرها انتقال الرواية العربية بالمشرق إلى مرحلة جديدة من التطور، تتمثل أساسا في ظهور تجربة الرواية الجديدة مع مجموعة من الكتاب أبرزهم: ابراهيم صنع الله، حيدر حيدر، ونجيب محفوظ.

تمثل هذه المرحلة البداية الحقيقية للكتابة الروائية بعد التردد الذي عرفته في الفترة السابقة، وأبرز الأعمال التي ظهرت فيها-فترة الستينات تحديدا-:

- دفنا الماضي لعبد الكريم غلاب سنة1966، التي اهتمت بموضوع النضال الوطني، على الرغم من حصول المغرب على الاستقلال بعشر سنوات، فهو بالنسبة للكاتب موضوع مركزي يصور الصراع بين نموذجين من المواطنين؛ المتخاذل والخائن للقضة من جهة، وبين المناضل الوطني الغيور والمحب له.
- وجيل الظمأ لمحمد عزيز لحبابي سنة 1967 ، يتناول موضوع الرواية صراع الأجيال في واقع ما بعد الاستعمار تحديدا.

وأكثر ما كان يميز روايات هذه المرحلة؛ تنويع أساليب السرد والرؤية السردية، وقد وقف فيه الكتاب تحديدا عند الجمع بين توظيف السارد المشارك والسارد المفارق لمرويه.

استخدام لغة بسيطة، يتخلى فيها الروائي عن اللغة الفصحى ليوظف اللغة العامية خاصة في الحوارات، كثرة استخدام تقنية المفارقات الزمنية.